مجلة المعيار ISSN :1112-4377
مجلد: 26 عدد: 5 (رت 67) السنة: 2022

بلاغة الإقناع في قصيدة "على باب الشعر" لأحمد مطر

Eloquence of persuasion in a poem on the door of poetry by ahmed Mater

د صفية مكناسي[1]
جامعة أمحمد بوقرة-بومرداس
s.meknassi@univ-boumerdes.dz

تاريخ الوصول 2020/11/09 القبول 2022/02/17 النشر على الخط 2022/06/05
Received 09/11/2020 Accepted 17/02/2022 Published online 05/06/2022

ملخص:

نسعى في هذا المقال إلى دراسة قضية التّدرج والانتقال من الوصل والإيصال إلى التّواصل ،أي من عمليّة نقل الخبر دونما أي اعتبار لأطرافه ، إلى الدّرجة الثّانية وهي نقل الخبر مع وضع اعتبار لمصدره الّذي هو المتكلم وصولا إلى البعد الوظيفي للغة ،وهو نقل الخبر مع اعتبار مصدر الخبر ومقصده عند المتلقّي قبولا ومشاركة.

إنّ التّساؤل المحوري لهذه الدراسة مفاده كيف اعتمدت اللّغة وسيلة للتّواصل والتّأثير في الآخرين ؟و كيف السبيل من التّواصل إلى الإقناع؟ ومن اللّغة نلج إلى الأدب باعتباره هو الآخر وسيلة للتّواصل عن طريق اللّغة بحيث نتخذ من الخطاب الشّعري المعاصر مدونة للتطبيق من أجل استجلاء البعد التّأثيري للغة ، في محطاتها البلاغية ،من حوار ، وتكرار ، وإيقاع ،و قد كان اختيارنا للشّعر المعاصر مبرره أن هذا النّوع من الشّعر يتخذ من المقصديّة لبنة أساسية في انبنائه و شكلنته، لأخلص في الأخير إلى البعد الإقناعي للشّعر الّذي كان محل نزاع بين النقاد والدارسين ،حيث التّأثير هنا يكون عبر مسلك العاطفة وصولا إلى العقل.

الكلمات المفتاحية:اللغة- البلاغة- الخطاب الشعري-المقصدية- الإقناع.

Abstract:

that is, from the process of conveying the news without any consideration for its parties; and in the second degree, which is the transmission of the news with regard to its source that is the speaker, leading to the functional dimension of language, which is the transmission of the news considering the source and purpose of the news to the recipient as acceptance and participation.The central question of this paper is: How was language used as a means of communication and influential to others, and how was the way from communication to persuasion? The move is from language to literature as it is another means of communication through language, so that we take from contemporary poetic discourse a code of application in order to uncover the influential dimension of language in its rhetorical pauses, from dialogue, repetition and rhythm.

Key words: language, eloquence, poetic discourse, persuasion

[1] المؤلف المراسل: **صفية مكناسي** البريد الالكتروني: **s.meknassi@univ-boumerdes.dz**

مقدمة:

توسّل الإنسان باللّغة لتحقيق تواصله مع الآخر للتّعبير عن هواجسه ودواخله ، فكانت المرآة العاكسة لأفكاره من منطلق أنها " ظاهرة اجتماعية"[1] يشترك فيها مجموعة من بني البشر تجمعهم وحدة الأنظمة الّتي تحدّدها سلسلة من الرموز والشّفرات المشتركة ، المعتمدة في عمليّة التّواصل والتبادل للأخبار والمعارف والأفكار ،و في ظلّ هذه الغاية المنشودة تستمد اللّغة أهميتها، حيث ما فتئت تشغل الفكر الإنساني منذ بداية الوعي بالواقع اللّغوي "و ما ذلك إلاّ لأنّ اللّغة هي التّفكير وهي التّخييل، بل لعلها المعرفة نفسها ، بل هي الحياة نفسها"[2] فلم يكن للإنسان ملاذا من اللّغة إلاّ في اللّغة ،فهي وسيلته في التّفكير، وأداته في التّواصل و وسيلته إلى المعرفة.

عندما لاحت حاجة الفطرة الإنسانيّة إلى التّواصل في الأفق منادية بضرورة الاعتماد على نظام لتحقيق "المحاورة لاضطرارها إلى المشاركة والمجاورة وانبعثت إلى خلق شيء يتوصل به إلى ذلك ،فمالت الطبيعة إلى استعمال الصوت، و وفقت من عند الخالق بآلات تقطيع الحروف وتركيبها، ليدّل بها على ما في النّفس من أثر، ثمّ وقع اضطرار ثان إلى إعلام الغائبين من الموجودين في الزمان أو المستقبلين إعلاما لتدوين ما علم ،فاحتيج إلى ضرب من الإعلام غير النطق فاخترعت أشكال الكتابة"[3] ليتوسل بذلك طريقا المشافهة والكتابة لتحقيق غاية المشاركة مع الآخر والتّفاعل معه عبر آلة اللّغة.

من هنا تجلت للعيان الوظيفة الأساسية الّتي من أجلها أقيمت اللّغة ،من حيث كونها "أصواتا يعبر بها كلّ قوم عن أغراضهم "[4] جامعة في هذا بين البعد الوظيفي والبعد التّواصلي ، من خلال نظام المشاركة الجماعية بين أفراد الجنس الواحد، فحازت على التّفرد في ترجمة الفكر، وكانت الحافظة للتراث الإنساني ،و كل ما يحيط به فأخذت اللّغة هنا تطرح نفسها بوصفها معطى أصيل ، لا يمكن لحقيقة الإنسان أن تنمو بعيدا عنها، إلى درجة أنّ "تشكل الإنسان من حيث هو ذات في اللّغة باللّغة، إذ هي وحدها الّتي تؤسس في حقيقة الأمر مفهوم الأنا ضمن واقعها الّذي هو واقع الوجود"[5] .

إنّ اللّغة قبل أن تكون أداة للتّواصل الخارجي بين بني البشر "كانت أداة لتحقيق الوئام الداخلي وبلورة الإنسان كذات خاصة، لتنتقل لكونها الأداة الأكثر نجاعة للتّواصل مع الآخرين المشاركين لنا في وجودنا"[6] ،و لعل ما أكسبها هذه السلطة ،وهذا السحر ، هو طرائق الاستعمال والتّشكيل لها من لدن المبدعين والأدباء، متوسمين فيها التّواصل بدفتيه النّفعي والنّوعي.

تجاوزت اللّغة بعدها الفردي وصفتها الاجتماعية إلى بعد آخر ،من مكمن وقوعها "عبارة المتكلم عن مقصوده وتلك العبارة فعل لساني ناشئ عن القصد بإفادة الكلام"[7] ليتحقق البعد التّداولي ،الّذي يشمل عبارة المتكلم من خلال تنزّل اللّغة عن كونها قوانين

1- Ferdinand de saussure ,cours de linguistique general,editionsprepare par tullio ,editionspayot paris ;1985,p :24-25.

2- عبد المالك مرتاض،في نظرية الرواية ،عالم المعرفة ، الكويت،1998،ص:90.

3- ابن سينا ،العبارة ،الهيئة المصرية العامة ،القاهرة ،1970،ص:1-2.

4- ابن جني أبو الفتح عثمان ،الخصائص،تح محمد علي النجار ،دار الهدى للطباعة والنشر، ،بيروت، لبنان ، ط2 ،ج1،ص:33.

5--Gillimard .Emile benvenisteproblemes de linguistique general ;tome 2editions paris,1974,p259-160.

6- عمر مهيبل إشكالية التواصل في الفلسفة الغربية المعاصرة ،منشورات الاختلاف ،لبنان الجزائر ،ط1 ،2005 ص:31.

7- ابن خلدون ،المقدمة،تح خليل شحادة دار الفكر للطباعة بيروت لبنان،ط1،2003،ص:565.

وقواعد مجردة إلى كلام منجز بواسطة اللسان "فتصير ملكة متقرّرة في العضو الفاعل لها وهو اللّسان، حيث تكمن روح اللّغة في نوع النشاط الإنساني، نشاط من جانب فرد يجد في إفهام نفسه لشخص آخر، ونشاط من جانب هذا الشّخص الآخر بفرض فهم ما كان يجري في ذهن الشّخص الأول"[1].

تتوقف محددات اللّغة على البعد التّداولي الّذي ينصرف إلى قصد المتكلم ، وإرادته في توجيه الخطاب للآخر بغية تسويق هذا القصد أو تبليغ معتقداته[2]، حيث تجاوزت اللّغة هنا كونها وسيلة للتّخاطب والتّفاهم والتّواصل فحسب، إلى كونها "وسيلتنا للتّأثير في العالم وتغير السلوك الإنساني من خلال مواقف"[3]، فقد يحدث أن تزدوج أساليب الإقناع بأساليب الإمتاع ،فتكون إذ ذاك اللّغة أقدر على التّأثير في اعتقاد المخاطب، وتوجيه سلوكه ،لما يهبها هذا الإمتاع من قوّة في استحضار الأشياء، ونفوذ في إشهادها للمخاطب ،كأنّه يراها رأي العين[4].

فالإمتاع هنا يساعد على تحقيق الإقناع ،والتّأثير في المخاطب من جهة القوّة على استحضار الأشياء في مخيلة المخاطب، بحيث اللّغة من هذا المنظور "أكثر من كونها مجرد أنظمة لنقل الأفكار ، فهي أكسيّة غير مرئية تكسو أرواحنا وتصبغ على تعبيراتها الرمزية شكلا مهيئا سلفا، وحين يكون التّعبير ذا دلالة غير اعتيادية نسميه أدبا"[5].

إذا كان التّواصل بين بني البشر لا يقوم عن طريق اللّغة فحسب، إنّما يتوسل طرائق غير لغوية لتحقيق مبتغاه، فإنّ اللّغة في عمليّة التّواصل تنأى عن كونها مجرد ناقل للمعلومة، شأنها شأن آليات التّواصل الأخرى، بل اللّغة ناقلة للأحاسيس و الانفعالات الّتي تعجز الوسائل الأخرى عن نقلها، والفرق بين التّواصلين هنا يتمثّل في تلك الاستراتيجيّة الخطابية الّتي يتبناها المخاطب قصد تحقيق هدفه الاتصالي، وتفسير مقصديته التّي يريد الكشف عنها في شكل غرض محقق عند المتلقي، وذلك كلّه "لأنّنا نتكلم في العادة من أجل أن نبلغ هدفا، هذا الهدف يؤثر لا محالة في القول الّذي نقول، ومنذ وقت قديم لوحظ أن تقدير نجاح المتكلم يوجب علينا تصور ما يحاوله"[6] حيث هدف التّواصل يكون مبنيا على قصد ، أو غاية تتحقق عند المتلقّي من جراء الاستراتيجيّة الخطابية المعتمدة في الخطاب.

قصد سبر أغوار البعد التّأثيري للغة في النّصوص الأدبيّة ، و بالتّحديد في الإبداعات الشّعريّة المعاصرة ننتخب قصيدة للشّاعر الثّائر ،صاحب القضيّة والهويّة، شاعر الوطن ، والوجود ،والانتماء "أحمد مطر" في إحدى مقطوعات "لافتاته" الموسومة "على باب الشّعر"، نحاول استجلاء المقاصد المعتمدة في الوصول إلى ملامسة مكامن إذعان النّفوس، وحثّها إلى الالتفاف حول قضية الهويّة والوجود، معتمدين في ذلك على المنهج الأسلوبي.

1- المصدر نفسه ،ص:565.

2- ينظر: أحمد يوسف ،سيميائيات التواصل وفعاليات الحوار"المفاهيم والآليات" منشورات مخبر السيميائيات و تحليل الخطاب ،جامعة وهران، الجزائر،ص:45.

3- أوستن،نظرية أفعال الكلام، ترجمة عبد القادر قنيني،إفريقيا الشرق،الدار البيضاء ،المغرب،1991،ص:6.

4- ينظر:طه عبد الرحمن،في أصول الحوار وتجديد علم الكلام،المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء ،المغرب، 2002،ص:38.

5- إدوارد سابير ،اللغة والخطاب الأدبي ،ترجمة سعيد الغانمي ،المركز الثقافي العربي ،بيروت لبنان،الدار البيضاء ،المغرب ،ط1 ،1993،ص:96.

6- مصطفى،ناصف،اللغة والتفسير والتواصل،عالم المعرفة، الكويت ،1993،ص:12.

نقف في تحليلنا لهذه القصيدة عند العنوان باعتباره البوابة الرئيسة في استجلاب المتلقّي نحو نص القصيدة وتبيان الاستراتيجيّة المعتمدة في انتقائه ، وفعاليّة ذلك في تحقيق غاية الإقناع، ثمّ الوقوف على آلية التّكرار، و مدى نجاعتها في تحقيق مبتغى الخطاب، وما توفره هذه التّقنيّة من تأكيد للبعد الحجاجي، وما تحدثه من إيقاع جراء المعاودة، يسهم بدوره في تحصيل التّأثير في النّفوس.

أمّا في المحطة الثّالثة سيكون الوقوف عند آلية الحوار المعتمدة ،و مدى نجاعتها أيضا في خلق التفّاعل مع المخاطب، واستخلاص في المحطة الرابعة ما من شأنه أن يكون ردة فعل عند المتلقّي اتجاه النّصّ ، من أفعال إنجازية من قبيل الاستفهام والتّعجب والسّخريّة، ودور هذه الأفعال في تحقيق فعاليّة الخطاب الّتي هي التّأثير والإقناع.

يقول الشّاعر أحمد مطر في لافتته الأولى في مقطوعته الموسومة:

على باب الشّعر

حين وقفت بباب الشّعر

فتّش أحلامي الحراس

أمروني أن أخلع رأسي

و أريق بقايا الإحساس

ثمّ دعوني أن أقول شعرا للنّاس

فخلعت نعالي في الباب

و قلت:

خلعت الأخطر يا حراس

هذا النعل يَدُوس

ولكن..

هذا الرأس يُدَاس .[1]

1- دور العنوان في بناء الاستراتيجية الإقناعيّة

احتل العنوان مكانة متميزة في الإبداعات الأدبيّة ،والدّراسات النّقديّة بصورة لفتت انتباه المنظرين إلى أن وضعوا له علما خاصا مستقلا و هو علم التيتولوجي (علم العنونة) حيث العنوان مفتاح منتج ذو دلالة في التّركيب النّصي، ليس على مستوى البناء الخارجي فحسب، بل بالانفتاح على أكثر من قراءة [2]،و العنوان الّذي اختاره الشّاعر لقصيدته "على باب الشّعر" عنوان في غاية الإثارة في الاستراتيجيّة الخطابية المعتمدة، بحيث يفتح أمام القارئ العديد من التّساؤلات، منها ما الّذي يحدث عند باب الشّعر ؟ ولماذا كلمة باب الدالة على الستر و الحجب والإقفال على ما في الداخل؟ ما الّذي صادفه الشّاعر ،حين حاول الدخول إلى هذا العالم الّذي يدخله الشّاعر كرها لا طواعيّة ،لأنّ "علاقة الشّاعر بالكتابة هي علاقة الرغبة في اختراق كلّ شيء، وتحقيق أمل واحد

1- أحمد مطر، المجموعة الشعرية،لافتات ،دار الحرية ،بيروت لبنان،ط 1،2011،ص:13

2 - ينظر :نادية شقرون ،سيمياء العنوان في ديوان مقام البوح لعبد الله العشي ، محاضرات الملتقى الأول : السيمياء و النص الأدبي ، 7و8نوفمبر 2000 ،جامعة محمد خيضر بسكرة ، ص:269.

هو الكتابة، كتابة تتمرد وتدمر المألوف، حيث يصبح الشّعر فعلا جسّديا وقلق وجوديا ، يعبر من الداخل إلى الخارج ليمتزج بالآخرين."[1] فالشّاعر لا يصير كذلك بالرغبة وتحقيق الآمال، إنّما يساق إلى ساحة الشّعر من لدن طبعه و شعوره المتفرد انسياقا ،و يصير قوله تمردا على ما يخالف هذه الفطرة المغروسة فيه.

إنّ العنوان الّذي اختاره الشّاعر لقصيدته "على باب الشّعر" يثير العديد من الاحتمالات والتّساؤلات، منها : هل دخل الشّاعر من باب الشّعر ؟ و إذا دخل ما الّذي رآه هناك ؟و هذه الاحتمالات تجعله يقدّم تصورات لما سيكون في المتن من أحداث، وهذا الفعل من لدن المتلقّي يجعله يتفاعل مع النّصّ ،ويوطد علاقته معه ،و يحاول المشاركة و المفاعلة مع صاحبه، ويرسم أفقا للانتظار والتّوقع.

فالشّاعر عندما يعمد إلى مثل هذه الاستراتيجيّة في العنوان يجعل القارئ متلهفا إلى المتن، ومسارعا إلى كشف دواخله، الأمر الّذي يجعل العلاقة بينه وبين النّصّ علاقة حب الكشف عن مكنوناته و دواخله، فالشّاعر أحمد مطر ومن خلال هذا العنوان المختار لقصيدته ،جعل القارئ في حيرة من أمره، متسائلا في الآن ذاته لماذا مُنع الشّاعر من دخول باب الشّعر؟و ما تهمته في ذلك؟ولماذا قول الشّعر أصبح محظورا عليه؟ ولماذا قول الشّعر أصبح مدعاة للخوف والقلق عند الآخر؟

كلّ هذه الحيثيات يضعها الشّاعر أمام متلقيه في محاولة الوصول إلى النّص ، من خلال هذا العنوان الّذي اختاره بعناية فائقة، وعليه فالعنوان لا يكون اعتباطيّا عشوائيّا دونما أي قصد خصوصا في النّصوص الإبداعيّة الّتي تحمل مقصدية الإقناع، حيث كلّ كلمة فيه لها دورها ،ودلالتها الخاصة في إيفاء الغرض المقصود في الاستراتيجيّة الإقناعيّة في الخطاب الشّعري المعاصر.

2- التّكرار وبعده الحجاجي في القصيدة

عمد الشّاعر أحمد مطر في هذه القصيدة إلى جملة من التّكرارات اللفظيّة ،والمعنويّة قصد تحقيق التلاؤم بين أجزاء النّصّ، خصوصا بين العنوان والمتن، حيث ربط بينهما بكلمة "الشّعر" التي أوردها في العنوان و في بداية المتن، وذلك قصد تحقيق مبتغى البعد الحجاجي الّذي تنضوي عليه الألفاظ والعبارات المتكرّرة ، بحيث يسهم في ترابط أجزاء القصيدة وتأكيد المعاني ، والتّكرار المقصود هنا ليس ذلك المولد للرتابة والملل، وإنّما الّذي يسمح بتوالد بنيات لغوية جديدة باعتباره أحد ميكانيزمات عمليّة إنتاج الكلام.

أخذ التّكرار عدة وظائف خطابيّة عُبر عنها بالإفهام ، والإفصاح ، والكشف ، وتوكيد الكلام ، والتّشديد من أمره وإثباته[2] خدمة للمغزى العام من الخطاب، فهو من الآليات المعتمدة في تحقيق البعد الحجاجي للكلام وليس محض وقوع للفظ في الكلام أكثر من مرّة ، أو صياغة المعنى الواحد أكثر من مرّة، إنّما التّكرار ما يقتضي من الكلام ،كأن يعاد اللفظ الأول مرّة ثانية ،ليكون مقارنا لتمام الفصل [3] فالتّكرار هنا لا يؤتى به لذاته، وإنّما خدمة لخاصية اتساق النّصّ ، وتوكيد معناه وتعزيز مبتغاه الحجاجي.

استعان الشّاعر أحمد مطر في قصيدته على تحقيق البعد الحجاجي التّأثيري بمجموعة من التّكرارات في الأسماء والأفعال، حيث بالإضافة إلى كلمة "الشّعر" الّتي ربطت العنوان بالمتن في بدايته نجد الأفعال المتكرّرة في القصيدة الفعل "خلع" بصيغة الماضي مرتين، وبصيغة الحاضر والأمر "أخلع" مرّة واحدة، وقد أسبّق الشّاعر الفعل "أخلع" الّذي جاء به في سياق فعل الأمر، ثمّ أعقبه بفعلي

1- علي أيت أوشن ،السياق والنص الشعري"من البنية إلى القراءة"،دار الثقافة للنشر والتوزيع،الدار البيضاء المغرب،ط 1،2000،ص:135.

2- ينظر: ابن الأثير،ضياء الدين،المثل السائر،تحقيق أحمد الحوفي وبدوي طبانة،دار النهضة المصرية،ط2 1973 ج9،ص:17.

3- ينظر: محمد العبد،النص والخطاب والاتصال،الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي ،القاهرة،ط1،ص:222.

المضارعة "خلعت" للدّلالة على المأساة الّتي يعيشها الشّاعر حيث أُمر أولا أن يخلع نعله ، فخلع ،وخلع، ليبين الشّاعر من خلال هذا التّأكد الّذي يدّل عليه التّكرار أنّه لا يزال تحت قوّة الجبروت ، والظلم ، والاستبداد ،والاضطهاد الممارس عليه، حيث أُمر أولا فطبق ثانيا وبقي ولم ينفك بعد.

الفعل الثّاني المتكرّر في هذه القصيدة "يدوس" و"يداس" بصيغة الفاعل والمفعول به، حيث النّعل الّذي يعتليه الشّاعر ، و يدوس به البساط ،ويحميه من كلّ الأشواك أُجبر على خلعه ، فخلعه عند الباب ، ودخل برأسه دون سلاح، والرأس يُدَاس و لا يدوس، ذلك للدّلالة على أن الشّاعر في هذه الساحة بلا سلاح ولا حماية، و من جهة أخرى يبين الشاعر أنّ النعل يَدوس فتركه عند الباب ،و دخل برأسه الذي يُداس ليدّلل على أن في زمن الجبروت أصبح النعل سلاحا قويا يدُوس ،و تراجع الرأس الذي هو مصدر قوة عند الإنسان إلى الخلف، بل أصبح تحت المداس ، فالشّاعر هنا يبين لنا أنّه يمارس الشّعر تحت الرقابة المشدّدة ،فحتّى الحرف رسف بالعبوديّة ولم يعد حرا، فقد قيّد العدو حتّى الكلمات في جوف الشّاعر ،فلا تخرج إلاّ بعد مرورها على جهاز كشف للانفلات القومي.

3- الحوار و بلاغة الإقناع في القصيدة

يعد الحوار من أهم أشكال التّفاعل اللّفظي ،و هو المجال الطبيعي الّذي يقع فيه الحجاج ،و المناظرة بامتياز[1] ،حيث تناول الحجج والبراهين بين الطرفين يكون أكثر نجاعة في بناء عمليّة التّأثير. و القصيدة الّتي بين أيدينا عمد فيها الشاّعر إلى الحوار الضمني، حيث التّساؤل والإجابة من طرف واحد، وقد عزّز ذلك بكلمة "قلت" والأفعال اللّغويّة المضمنة في النّصّ مثل التّعجب و الاستفهام، حيث أقام الشّاعر حوارا بينه وبين الحراس من جهة ،وبينه وبين المتلقّي من جهة ثانية، وذلك بغية إشراكه في عمليّة التّفاعل مع النّص ، لتحقيق البعد الحجاجي لخطابه.

يحاول الشّاعر في هذه الاستراتيجيّة الخطابية المعتمدة إشراك المتلقّي في عمليّة بناء النّصّ ،من خلال زرع ثغرات فيه ليملأها المتلقّي بما يتوقع حدوثه، فيجعله بهذا أكثر انتباها في محاولة إعمار هذه الفراغات ،بدءا بالعنوان الّذي يثير العديد من التّساؤلات ، التي تجعل المتلقّي يحاول تقديم احتمالات للإجابة عنها ،وصولا إلى المتن و ما ينضوي عليه من تضاريس ثخنة الدّلالة.

يبدأ الشّاعر حواره مع المتلقّي في المقطع الأول ،بالحديث عن باب الشّعر الذّي وجد نفسه واقفا عنده حيث فتّش الحراس أحلامه ، وهي عبارة في غاية الإثارة، حيث الحراس في العادة يفتشون الجيوب ، فكيف يفتشون الأحلام ؟ وما الآليات المعتمدة في تفتيش الأحلام؟ ثمّ يسترسل الشّاعر في عرض سيناريو الاضطهاد في السطر الثّاني ،قائلا: أمروني أن أخلع رأسي ، ليفتح تساؤلا آخر هنا عند المتلقّي مفاده كيف يعيش الإنسان بلا رأس؟، ثمّ يواصل الشّاعر مسلك الإثارة قائلا: أمروني أن أُريق بقايا الإحساس، وبأسلوب ساخر يواصل الشاعر قوله ثمّ دعوني أن أكتب شعرا للنّاس، فكيف يكون الشاعر شاعرا بدون إحساس، وهو الّذي يشعر أكثر من غيره، وما سمي كذلك إلاّ لكثرة شعوره.

إنّ هذا التّدرج في عرض الحجج والحقائق الواحدة تلو الأخرى عند المتلقّي في سلم حجاجي تراتبي من الأصغر إلى الأكبر، ومن الضعيف إلى القويّ إلى الأقوى ،و من الأقل أهميّة إلى الأكثر ،من شأنه الظفر بالمتلقّي وشدّ انتباهه، فالطابع الحواري الّذي أخذه

1 – أبو بكر العزاوي ،الحجاج والشعر "نحو تحليل حجاجي لنص شعري معاصر"، مجلة دراسات، الصادرة عن سال، المغرب، ع7،1992،ص:110.

النّصّ أكسبه بعدا حجاجيا عاليا، وجعلنا نتبين بوضوح الوظيفة الإقناعيّة الّتي هي إحدى وظائف النّصّ الشّعري[1] فالحوار هنا أسهم في تصعيد وتيرة التّحاجج عند الشّاعر، حيث كلما فتح أفقا للتّساؤل ،قابله المتلقّي بأفق آخر للاحتمال والإجابة، وهذا التبادل الحواري جعل النّصّ خلاصة تفاعل قوية بين الطرفين .

4-الأفعال اللّغوية و فعاليتها التأثيرية في القصيدة

تنجّر جملة من الأفعال الإنجازيّة و التّأثيريّة عن الاستراتيجيّة الخطابيّة المعتمدة في عمليّة التّواصل ،و الفعل الكلامي هو كلّ ما تفضي به الملفوظات حين تحقّقها في شروط معينة ،من أحداث و أفعال ينتج عنها ردود أفعال عند المتلقين ،وقد فرق أوستن " Austinبين ثلاثة أنواع أساسية تمكّن من إنجاز شيء ما ،عن طريق عمليّة التّلفظ أو التّكلم وهي :فعل القول ،و الفعل الإنجازي ، و الفعل التّأثيري، و ترجم طه عبد الرحمن الفعل الكلامي بمقابل "acte locutoire" و الفعل التّكلّمي بمقابل " acte illocutoire" ،و الفعل التّكليمي بمقابل "acte perlocutoire " ،بحيث الفعل الكلامي هو فعل التّلفظ بصيغة ذات صوت محدد ،و تركيب مخصوص و دلالة معينة، أمّا الفعل التّكلّمي هو الفعل التّواصلي الّذي تؤديه هذه الصيغة التّعبيريّة ،في سياق معين كالوعد في قول القائل "سأعود"، في حين الفعل التّكليمي هو أثر الفعل التّكلّمي في المستمع[2].

تتضافر الأفعال اللّغويّة الثّلاثة فعل القول ، و الفعل الإنجازي ،و الفعل التّأثيري في تحديد هويّة الفعل الكلامي ، أو المنجز الكلامي بين طرفي الخطاب ،بحيث عمليّة التّلفظ بالخطاب ، أو عمليّة تحققه الفعلي تبدأ حين يقوم مرسل الخطاب بإرسال شيء ما للمستقبل ،و يفعل المرسل فعلا ما في ذلك القول الموجه إلى المرسل إليه ،فيؤثر الأول في الثّاني بواسطة ذلك الفعل المنجز ،فيكون عندئذ الفعل الإنجازي متعلق بمرسل الخطاب ،أمّا الفعل التّأثيري فيرتبط بمتلقّي الخطاب ،و قد لا تكتمل دائرة التّأثر إلاّ عند حدوث ردة فعل ، مثل الاستجابة للأمر[3]و الانتهاء عند النّهي ،و غيرها من الأفعال المحقّقة من لدن المتلقّي.

إنّ الأفعال اللّغوية هنا من قبيل الاستفهام و النّفي و التّعجب يؤديها صاحب الخطاب بحسب ما تحدثه من ردود تأثيرية عند المتلقّي،و هذه الأفعال تكون دالة على نجاح الوظيفة الإقناعية في خطابه ،أمّا في القصيدة الّتي بين أيدينا عمد فيها الشّاعر إلى فعل التّعجب ، و السّخريّة الهادفة ،و قد تجلى فعل التّعجب في السطرين الخامس و الحادي عشر ، حين فتّش أحلامه الحراس ،و أمروه أن يخلع الرأس ، و إراقة الإحساس ،ثمّ دعوه إلى كتابة الشّعر للنّاس ،ليجعل الشّاعر المتلقّي من خلال هذا الفعل اللّغوي المعتمد ، في حيرة ،وتساؤل كيف يكتب الشّعر من خُلع رأسه ، و أُريق إحساسه،و في ثنايا هذا الفعل التّكلّمي ،يقدّم الشّاعر لمتلقيه حقيقة مّرة مفادها أن الشّاعر أصبح مكبلا بكلّ أنواع القيود المادية منها والمعنويّة ،و هو الشّخص الّذي ينطقه إحساسه و

1- ينظر المرجع نفسه،ص110.

1- ينظر: طه عبد الرحمن ،اللسان و الميزان أو تكوثر الخطاب،المركز الثقافي العربي،المغرب،ط1، ص:260-261.1998،

2 – ينظر: عبد الهادي بن ظافر ،استراتيجيات الخطاب،دار الكتاب الجديد المتحدة،بيروت لبنان،ط1 2004،ص:75.

شعوره بالآخرين ،فأصبح اليّوم و الحال كذلك مكبلا ممنوعا من القول ، و الكتابة ،و أغرب من هذا أنهم طلبوا منه بكلّ سخرية و استهزاء أن يكتب شعرا للنّاس ،بعد أن أمروه أن يريق ما أبقوه له من إحساس.

الفعل اللّغوي الثّاني الّذي اعتمده الشّاعر في ترسيخ البعد الحجاجي لنصه هو أيضا فعل التّعجب في نهاية القصيدة ،حيث بعد أن أُمر أن يخلع الرأس ،خلع النّعل عند الباب ،وقال خلعت الأخطر يا حراس ،هذا النّعل يدوس لكن هذا الرأس يُداس ،فالذي كان يشكل الخطر على الحراس ليس الرأس كما كان يظن الحراس، إنّما هو النّعل،حيث النّعل الّذي هو من صنع البشر أصبح يّدوس ،و الرأس الّذي هو من خلق الخالق ، و أشرف عضو عند الإنسان أضحى في زمن الطاغوت يُداس ،ليحقق الشّاعر من خلال هذا الفعل التّكلّمي إحكاما توصيفيّا للحالة الّتي آل إليها الراهن العربي في ظل الجبروت و الاستبداد .

حقّق الشّاعر بهذه الأفعال اللّغوية المنجزة البعد التّأثيري لخطابه ، من خلال إشراك المتلقّي في عمليّة نسج و إعمار ،و تأثيث زوايا الخطاب ، بجملة الاحتمالات المقدّمة من خلال الفعل التأثيري المنجر عن الفعل التّكلمي، من هنا فقد شارك المتلقّي الشّاعر حيرته ،و قضيته من خلال الاستراتيجيّة الخطابيّة المعتمدة،و عليه فالشّعر هنا ينحو منحى الإقناع من سبيل العاطفة ،حيث يسلك الشّاعر مسلك العاطفة في استمالة متلقيه ليلج إلى أقاسي أفئدتهم ،و يجسد البعد الإقناعي المرصود لخطابه.

خاتمة:

حققت اللّغة في الخطاب الشّعري بعدا تواصليا مقترنا بالتأثير و الإقناع ، من خلال ما تحمله من تكثيف دلالي و فيض من المعاني ،جاء خلاصة لجملة من الأساليب المعتمدة في بناء القصيدة ،من قبيل التّكرار ،و الحوار و الصور الدينامية، التي جسدت التّفاعل و الانسجام مع المتلقّي.

أخذ العنوان بعدا استراتيجيا هاما في الربط بين أجزاء القصيدة من خلال التّكرار الموظف من لدن الشاعر،أيضا من جهة أخرى كان العنوان هنا مثيرا ،الأمر الذي جعله يشدّ اهتمام المتلقّي للقصيدة ،محاولا كشف الدّلالات الرامية إليها.

أسهم أسلوب الحوار الّذي اعتمده الشّاعر في قصيدته في تحقيق التّواصل بينه و بين المتلقّي، و يعد الحوار من أنجع الأساليب في بناء العملية الحجاجية، من خلال عرض الحجج وتلقي الأدلة و البراهين،و استخدام الشاعر لهذا الأسلوب حقّق له البعد الإقناعي الذي كان يصبو إليه.

من خلال اعتماد الشّاعر على أسلوب الحوار ،و التّكرار حقّق جملة من الأفعال الكلاميّة التي من شأنها تعزيز البعد التّداولي للقصيدة،بحيث تفاعل المتلقّي مع الشاعر يظهر جليّا من خلال جملة ردود الأفعال من طرفه ،وهذه الردود تدل دلالة قطعية على انسجامه مع القصيدة ،و من ثم الاقتناع بالدّلالات التي تتضمنها.

قائمة المراجع:

1-عبد المالك مرتاض،في نظرية الرواية ،عالم المعرفة، الكويت ،دط،1998.

2-ابن سينا ،العبارة ، الهيئة المصرية العامة ،القاهرة ،دط،1970.

3-ابن جني أبو الفتح عثمان ،الخصائص ،تح محمد علي النجار ،دار الهدى للطباعة والنشر،،بيروت،لبنان ط2 ،ج2،2000.

4-عمر مهيبل، إشكالية التواصل في الفلسفة الغربية المعاصرة ،منشورات الاختلاف ،لبنان ،و الجزائر دط،2005.

5-ابن خلدون ،المقدمة، تح خليل شحادة ،دار الفكر للطباعة ،بيروت ،لبنان ،ط1،2003.

6-أحمد يوسف،سيميائيات التواصل وفعاليات الحوار"المفاهيم والآليات" منشورات مخبر السيميائيات و تحليل الخطاب ،جامعة وهران، الجزائر،دتا.

7-أوستن،نظرية أفعال الكلام، ترجمة عبد القادر قنيني ،إفريقيا الشرق،الدار البيضاء ،المغرب ،دط،1991.

8-طه عبد الرحمن،في أصول الحوار وتجديد علم الكلام ،المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء ،المغرب دط،2002.

9- إدوارد سابير ،اللغة والخطاب الأدبي ،ترجمة سعيد الغانمي ،المركز الثقافي العربي ،بيروت لبنان،و الدار البيضاء المغرب ،ط1 ،1993.

10-مصطفى ناصف ،اللّغة والتّفسير والتّواصل ،عالم المعرفة، ،دط ،1993.

11-أحمد مطر، المجموعة الشعرية ،لافتات ،دار الحرية ،بيروت ، لبنان ،دط، 2011.

12-علي أيت أوشن ،السياق والنص الشعري"من البنية إلى القراءة"،دار الثقافة للنشر والتوزيع،الدار البيضاء، المغرب ،ط1،2000.

13-محمد مفتاح ،دينامية النّص ،المركز الثقافي العربي ،المغرب ،دط،1987.

14-ابن الأثير،ضياء الدين، المثل السائر،تح أحمد الحوفي وبدوي طبانة ، دار النهضة المصرية،ط2 1973.

15-محمد العبد ،النّص والخطاب والاتصال ،الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة ط1،2005.

16-طه عبد الرحمن ،اللسان و الميزان أو تكوثر الخطاب،المركز الثقافي العربي،المغرب ،ط1،1998.

17-عبد الهادي بن ظافر ،استراتيجيات الخطاب،دار الكتاب الجديد المتحدة،بيروت لبنان ،دط،2004.

18- أبو بكر العزاوي ،الحجاج والشعر "نحو تحليل حجاجي لنص شعري معاصر"،مجلة دراسات،الصادرة عن سال،المغرب،ع 7،1992.

19-Ferdinand de saussure ,cours de linguistique general, ,edition spayot. paris ;1985

20-Gillimard .Emile benveniste. problemes de linguistique general. Editions. paris,1974